

الفصل الأول المدخل - الساعة

obeikandi.com

الفرق بين قيام الساعة والقيامة

أولاً: تقديم ومدخل:

لقد عَجَّت المكتبة الإسلامية بالكثير من الكتب والمراجع التي بناها أصحابها على أوهام أو فقاعات ثقافية، وتناقلت الأجيال تلك الثقافات على أنها الدين، فمن يؤس ما ترانا فيه أنك تجد مشاهير من مشايخ زماننا ومشاهير دعائنا وهم لا يعرفون الفرق بين الروح والنفس، وتراهم لا يدركون عن الوفاة إلا أنها خروج الروح لأنهم لم يتثقفوا بثقافة القراءان، ولم يتمتعوا إلا بالنذر اليسير جداً من هداية الرحمن، بل نبعت ثقافتهم من بين أيدي سطور خطها القدماء، وصنعوا لها مراجع ساذجة في بعضها، واندس الغث والتزييف في بعضٍ آخر.

ومن بين ما انكب فيه الأقدمون والمُحدِّثون أنك لا تجدهم يُفرقون بين قيام الساعة ويوم القيامة، ولا يُدركون تفرُّد أحداث كل منهما عن الآخر، لذلك انتشر الجهل وتقعرت المصيبة، وافتتن الناس بهذه الثقافة المخلوطة والمهترزة، لكنني أرى العذر للناس، لأن تلك

السقطات تخرج غالبا من رموز الدعوة والفقه، لذلك ورث كثير منا ذلك الميراث فترانا لا نُفَرِّق بين قيام الساعة ويوم القيامة ونتصور أنهما تعبيران لمضمون واحد كما يردد أشياخنا على مسامعنا كل يوم، ونحن في غالب أمرنا مثل أكثرهم لا نعرف الفرق بين الرؤية والنظر والبصر، ولا الفرق بين العاقر والعقيم، ولا حتى ما بين المرأة والزوج، ولا الفرق بين الرجس والرجز، وغير ذلك كثير، بينما نفخر بأننا عرب، ومتخصصونا يفخرون بأنهم أساطين اللغة العربية، بينما لا يذكرون أن الذي وضع قواعدها ليس بعربي.

ومن أسباب زوغنا عن الحق اتباع الكثير من أشياخنا الآيات ظنية الدلالة والتصدي لها حين تفسير كتاب الله وترتيب قواعد فقهية أصولية بناء على ذلك المنهج، مما أدى إلى الزوغ عن الحق، فحين نتخذ من الآية: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: 46]؛ منهاجا لإثبات عذاب القبر، بينما لا تجد لفظ القبر بها فإنك تعلم بأن الفقيه قد استتج القبر وذلك هو عين الاعتماد على الآيات ظنية الدلالة.

وتجد ذات الآية وهي تتوجه بألفاظها لفئة محددة من الكافرين وهم آل فرعون، ومع هذا تجد الفقيه وقد عمم ذلك الحكم على جموع المؤمنين، وقال بأنهم يعذبون بقبورهم، وتلكم هي الظنية الثانية.

وترى الآية وقد أوردت بأن آل فرعون هم الذين يُعرضون على النار ولا تُعرض النار عليهم في قبورهم، بما يعني بأن النار هي التي تراهم فتعرفهم بأنهم زبائنهم بينما هم لا يرونها، ومع ذلك قالوا بأنها عذاب قبر، وتلكم هي الظنية الثالثة.

وتجد الآية وهي تتكلم عن غدو وعشيّ وهذان لا يكونان إلا في حياة فيها شروق وغروب للشمس، وليس بالقبر شروق أو غروب، ومع هذا لم يتبهاوا، وتلكم الظنية الرابعة.

ويوجه الله أوامره بالآية للملائكة وهذا لا يكون إلا يوم القيامة: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ﴾، بينما تذكر ذات الآية بأولها أحداث مما حدث لآل فرعون بالدنيا من عذاب (وليس بالقبر) وهو ما سلطه الله عليهم من طوفان وجراد وطفادع والقمل والدم، وحتى إن واكبناهم وانتهينا إلى أنها تعني عذاب لهم في قبورهم فلا يكون أبدا من أعمال اليوم الآخر الذي تُنبه عليه الآية في آخرها، لذلك فهي آية ظنية الدلالة يختلط بها الحكم الشرعي فيما يخص دلالة أحداث الساعة ودلالة أحداث يوم القيامة، بينما هناك آيات صريحة وثابتة الدلالة تؤكد الفرق بين الساعة ويوم القيامة، وأخرى تبين كيف تأجل حساب الناس جميعا ليوم الحساب، إذ لا عذاب قبل الحساب، لكننا تعودنا أن نترنح في خضم الآيات ظنية الدلالة أتباعا للقدماء من منطلق (هذا ما ألفينا عليه آباءنا).

وهناك أيضا فرق بين الكتاب والقراءان وذلك لقوله تعالى:
﴿الرَّتِّلْكَ ءَايَتِ الْكِتَابِ وَقُرْءَانِ مُبِينٍ﴾ [الحجر: 1]؛ فالكتاب يحوي
الكونيات والخلق والإيانيات العامة وبعض قصص من قبلنا، والقراءان
يحوي الأوامر والنواهي وهو ما نسميه بالتشريعات الخاصة بالأمم.

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾
[الحجر: 87]؛ فدل هذا على أن السبع المثاني أيضا وإن كانت بين دفتي
الكتاب لكنها ليست القراءان، وهي ليست بفاتحة الكتاب، لأن الفاتحة
هي سورة واحدة هي فاتحة للكتاب كله، لكنها سبع آيات تنتشر
بالقراءان كله، وهي فواتح لسبع سور بالقراءان، وما يعلم أحد تأويلها
حتى الآن، وهي كالآتي: 1- الم، 2- المص، 3- كهيعص، 4- يس،
5- طه، 6- طسم، 7- حم، أما باقي الحروف مثل: [الر، المر، طس، ن،
ق، ص] فهي جزء من آية وليست آية كاملة، وأما (عسق) فهي ليست
بفاتحة سورة، وعموما حروف السبع المثاني لا تنتمي إلى اللغة العربية
فقط، لكنها حروف مسموعة ينطق بها أهل الأرض جميعا.

[المصدر: الكتاب والقراءان لمحمد شحرور].

وهناك أقوال أخرى بالأمر، لكنها بالتأكيد ليست بالفاتحة كما
يتصور كثير من المفسرين، ولا يتصور أحد بأن هناك آيات لا يجب
الإيمان بها، أو بأنها غير مقدسة، فمن يقل بذلك فقد خرج من الدين،

لكن ذلك التقسيم يفيد علماء أصول الفقه، وأهل الفتيا في عملهم، لذلك وجب التدقيق في كلمات الله، وألا نكون أسرى لرأي أحد، وأن نكون ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وقد فهم الناس بالخطأ معنى قول الرسول ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»، فتصوروا أنه السنة، لكنه الكتاب، وأيضا السبع المثاني، فضلا عن القرآن العظيم، والجميع داخل دفتي المصحف، وما علينا إلا أن نتفاعل مع آيات كتاب الله فسنفهم الأمر، بدلا من الخروج عن جادة الكتاب.

وحتى لا يكون علمنا خيالات وخبالات نطنها حقائق، وحتى لا نستقي علومنا من أحاديث لا تملك الحقيقة المطلقة ونرتويها من روايات ظنية الثبوت، بينما لا يهمننا قول ربنا عن رسول الله في مدى علمه بالغيبات: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَنِيعَ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَىٰ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: 9].

ويقول تعالى عن نبيه محمد: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَآتَكُم مِّنَ الْخَبَرِ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 188]. إلا أن الأقدمين اتخذوا السنة القولية - وهي على هذا الحال - مصدرا من مصادر التشريع، وراحوا يخلطون على الناس أمر السنة فلا يفرقون بين القولية

الظنية الثبوت، والعملية الآكدة الثبوت، ولا يفرقون بين ما صدر عن الرسول، وما نسب إليه، لذلك فلا بد من وقفة تعقل وتدبر.

فإذا كان النبي بصريح الآيات لا يدري ما يفعل به ولا بنا، ولا يعلم الغيب، وإن ما يعلمه رسولنا من الغيب هو ما علمه الله إياه وأورد ذكره بكتابه الكريم تفصيلاً ومذنباً بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: 44، يوسف: 102]، أو قوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُنْقِذِينَ﴾ [هود: 49]؛ فكيف نترك كتاب ربنا لنعلم علم الغيب عن الدار الآخرة من غيره من كتابات لم يتعهد الله بحفظها ونظنها ديناً نفرض عناصره على الناس بينما نترك أحسن الحديث (كتاب الله)؟! .

وتأكيد آخر يثبت فساد منهج الذين يعتمدون على المرويات سنداً لعلم أحداث الساعة والقيامة، فقد قال الله عز وجل لنبيه ولنا جميعاً: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: 3]، وقال له: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ [الانفطار: 17]، فمعنى ذلك أن أي من البشر لا يمكن أن يدرك الحقيقة، لكن الله يُقَرِّب لأذهاننا بعضاً منها من خلال النصوص القرآنية وما واكبها من أقوال رسول الله المنضبطة على نصوص الآيات القرآنية.

وتجد مؤلفاتهم التي فقدت الفرق بين الساعة ويوم القيامة وهي تُحدثك عن أشرار الساعة وأحياناً يذكرون بأنها أشرار يوم القيامة، لأنهم لا يعرفون الفرق بينهما، وتجدهم قد حشدوا كل ما وقع تحت يدهم من أحاديث نسبوا أكثرها زورا السيد البشرية وقالوا عنها حديث صحيح، أو لأنها وردت بالصحيح، بينما ترى الفقر المدقع في كتاب الله وقد حوته تلك المؤلفات.

ولما اختلط الأمر عليهم فقد قالوا بأن القيامة لها أسماء منها [الصّاخة، والحاقة، والقارعة، الغاشية، يوم الفصل، النبأ العظيم، الزلزلة، القيامة... إلخ]، فهكذا تجدهم وقد اختلط الأمر عليهم، ولنتخذ مثل بالصاخة والقيامة، فالاسم الأول هو قيام الساعة والثاني هو يوم البعث والحساب، وعلى من يريد التثبت أن يقرأ الآيات بكتاب الله ليعلم الفرق بين الصاخة والقيامة ليجد بأن الأولى هدم للكون إبان وجود بشر ما زالوا أحياء، بينما بالثانية بناء وإحياء لأموات.

نعم تكون للقيامة أسماء، لكنها ليست كل ما ورد عن الساعة والقيامة، فيمكن القول بأن يوم القيامة يكون اسمه مما ورد عنه بكتاب الله: [يوم الفصل، ويوم البعث، ويوم الحساب، ويوم الدين، الغاشية]، لكن لا يمكن أن يكون الصاخة أو الحاقة.

لذلك رأيت أن أنتهي بمصنفي هذا وأستعين بكتاب الله أولاً،
وببعض من السُّنة القولية لرسول الله ﷺ، حتى يتهيأ الناس لعهد
جديد تكون فيه الرِّيادة للقرءان، بعد أن مكثنا دهوراً وأحقاباً لا تترتو
أدمغتنا إلا من أحاديث - الله أعلم بها - ونذر يسير من آيات كتاب الله
ذراً للرماد في العيون، والناس تئن تحت وطأة بعض المؤلفين الذين
يحدوهم رواج شهرة بين الناس قبل تجارة التقوى مع رب الناس.

فساد تسمية أشرط كبرى للساعة والفرق بين قيام الساعة
ويوم القيامة:

ومن عجيب ونواتج الخلط بين القيامة والساعة أنهم قالوا بأن
للساعة أشرط صغرى وأخرى كبرى، وحقيقة الأمر أن للساعة
أشراطاً وهي تلك التي يسمونها الأشرط الصغرى، ثم بعد ذلك
تقوم ساعة دمار الكون، وهو ما يسميه الأقدمون بالعلامات الكبرى،
ويسميه القرءان (قيام الساعة) واقعا وحقيقة، فاللفظ القرءاني لكلمة
(تقوم) يقترن بكلمة الساعة، أما اللفظ القرءاني لكلمة قيامة فيقترن
دوماً بكلمة يوم.

ولقد نشأ عن تشابه الكلمات (تقوم الساعة - ويوم القيامة)
اضطراب للمعنى في أذهان الأقدمين، فقاموا بحل المعضلة التي
واجهتهم بقول الأشرط الصغرى والكبرى للساعة وبذات الوقت

خلطوا أمر قيام الساعة مع يوم القيامة باعتبارهما يشتركان في حروف تتشكل منها كلمة (تقوم) وكلمة (قيامة).

ومن أسباب الخلط عدم الوقوف على حقيقة أن الساعة لا بد لها من قيام لتبدأ سلسلة تدمير الكون بالترتيب الذي أراده الله، وهو يستغرق زمناً، بينما يوم القيامة لها صفة اليوم الواحد السرمدى.

والساعة قد تكون خاصة للإنسان بذاته فيموت فتكون ساعته قد قامت، وقد تكون على قوم كقوم عاد وثمود وآل لوط وغيرهم فتقوم ساعته فيهلكهم الله جميعاً، فكانت ساعة عاد بأن أرسل الله عليهم الريح النجسات العقيم، وكانت ساعة قوم هود بأن أهلكوا بالطاغية، وقد تكون الساعة عامة للكون كله بما عليه من خلائق وما يعلوه من سماء، لكن القيامة دوماً عامة، فلا تقوم على شخص بعينه ولا على قوم بذاتهم، وعلى ذلك فتعبير [من مات فقد قامت قيامته] تعبير خاطئ، فضلاً عن أن رجال علم الحديث قالوا بأنه ضعيف وبعضهم قالوا بأنه موضوع. [راجع سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني].

واختلاط معنى كلمة (قيام - وتقوم) وكلمة (قيامة)، أدى إلى عدم التفرقة بين ما يحدث بالأرض التي نعرفها والدنيا التي نحيا بها، وبين الآخرة التي لا علم لنا بمعطياتها ولا أجزائها ولا طبيعة مكوناتها، فهناك قيام للساعة، وهو ما يسمونه بالأشراط أو العلامات الكبرى

لكن القراء ان يسميه قيام للساعة، وهناك ما يسمى بيوم القيامة، وهما أمران منفصلان ومختلفان في الأحداث والزمن والمكان.

وفي أمر قيام الساعة يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الروم: 12].

ويقول سبحانه: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِذُ يَنْفَرُونَ﴾ [الروم: 14].

ويقول جل شأنه: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِرُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم: 55].

ويقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِذُ يَحْشُرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الجنّة: 27].

فالتى تقوم هي الساعة، بينما تعبير القيامة ورد وقد سبقه دوما كلمة (يوم)، ولا يسبقها كلمة (تقوم)، فالقيامة لا تقوم، وما درج عليه الناس من قول (تقوم القيامة) إنما هو من تراث التدين الشعبي الذي لم يرد بكتاب الله، وسببه خلط قدامى الفقهاء بين القيامة والساعة واعتبارهما مسميين لموضوع واحد.

فالساعة هي التى تقوم على الدنيا فتفنيها، أما يوم القيامة فيبين من اسمه وجوده حقيقة قائمة لها صفة أنه يقيم كل شيء في نصابه الصحيح، لكن ذلك اليوم خارج الزمن، وخارج واقعنا، لذلك لا

تعجب حين يذكر الله أحداث يوم القيامة كفعل ماضٍ، لأنه خارج الزمن الذي نعيشه، وهو الأصل ونحن الصورة، ورغم كثرة أحداثها فهي تقع كلها دفعة واحدة في يوم واحد ليس له مقومات أيامنا.

فتجد الله - تعالى - يقول: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: 71]؛ ويقول: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: 73]؛ ويقول: ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحِبُّهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم: 23]؛ فيذكرها القراء وكأنها فعل ماضٍ، وما ذلك إلا لاختلاف الزمن بيننا وبين الآخرة، وليلاحظ القارئ بأيأتي تحدث عن الزمن وليس عن الوقت، وأتحدث عن واقع غير واقعنا وتتغير مقوماتنا البشرية فيه، فلا بول ولا غائط ولا عرق، ونظر غير محدود، وكثير من الفوارق التي لا ندرکها.

وكلمة يوم القيامة تعني أنه يوم واحد، يسميه القراء يوماً ثقيلاً، حيث يقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَقِيلًا﴾ [الإنسان: 27]؛ وهو ليس من جنس أيامنا التي نعرفها، أما الساعة فسيستغرق أمر قيامها أياماً وأحقاباً زمنية، لذلك يجب أن نفرق بين لفظ (قيام الساعة)، ولفظ (يوم القيامة) ونفرق بينهما.

لذلك فالخلل كل الخلل بمقولة العلامات الكبرى للساعة التي

يخلطون بها أمر الساعة مع أحداث القيامة، ومن لطيف البيان أن نذكر بأنه بين أحداث قيام الساعة وحدث يوم القيامة أمد وزمن لا يعلم كنهه (بيانا ومقدارا) إلا الله.

ثانيا: خلاصة بيان الفرق بين أحداث الساعة والقيامة:

1- فالساعة هي آخر أيام الدنيا، بينما يوم القيامة هو يوم واحد بالآخرة.

2- والساعة تقوم على أحياء فُتْمِيتَهُمْ ويُدفن الناس تحت ثرى الأرض، بينما تقوم القيامة على أموات فتحْيِيهِمْ، وتتشفق الأرض عن أجسادهم فيخرجون منها وينبتون كما ينبت البقل، فهو يوم يقوم الناس لرب العالمين.

3- والساعة تأتي بغتة، بينما لا تبغت القيامة أحداً، لأنها تقوم على أموات، أما الساعة فلا لأنها تقوم على أحياء فهم يُبْغَتُونَ: ﴿يَوْمَ تَرَوْنها تَدْهُلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: 2].

4- والساعة لها علامات تعني قرب انتهاء فرصة الإيمان، بينما القيامة تقوم ولا أشراط لها، لأنها تقوم على أموات.

5- وأشرط الساعة ينفع معها إيمان وتوبة وهي ما يسمونه بالأشرط الصغرى، بينما قيام أحداث الساعة يعني فوات فرصة الإيمان والتوبة، أما القيامة فلا عمل بها ولا توبة لأنها يوم الحساب فقط.

6- وقيام الساعة يعني زوال الدنيا وفناءها، لكن يوم القيامة يوم بناء وتشيد لصروح الآخرة.

7- والساعة تقوم على أرضنا هذه وعلى تلك السماء التي نراها الآن، بينما لن يكون يوم القيامة على أرضنا هذه، فتلك الأرض ستزول عند قيام الساعة، ويبدلها الله والسموات لأجل القيامة.

8- والساعة تقوم على أرضنا وسمائنا التي نعرفها، بينما القيامة تقوم على كل الأكوان والخلائق بالسموات والأرضين، فيقول تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: 68]؛ وهو الأمر الذي يؤكد وجود مخلوقات عاقلة بالسماء لورود تعبير ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، فكلمة (من) تقال للعاقل، كما نرى أن الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: 5]؛ فالكل سيمثل أمام المولى سبحانه وتعالى بالآخرة.

9- وعند قيام الساعة يكون الإنسان بذات جسده وإمكاناته، بينما

بالقيامة يرتفع مستوى الجسد، فيرى الملائكة والجن وغير ذلك من الخصائص التي منها كلام الأيدي والأرجل والجلود.

10- وأمر قيام الساعة يستغرق أيامًا وسنوات وأحقابًا بينما القيامة يوم واحد اسمه يوم القيامة.

11- ومن أحداث الساعة أن تنزل الأرض، وتخرج براكين من جوفها، وتُنفذ الجبال، وستخبئ فلول البشرية التي ما زالت على قيد الحياة، يهمس بعضهم لبعض من الذعر، ثم تزول الأرض وما عليها، وستكشط السماء وتفتح لتصير أبوابًا، ... ثم ... ثم.

أما يوم القيامة فهو يوم استقرار على أرض جديدة، ليس فيه ذعر من جنس ذعر الدنيا، إنما يستمد قوة كيانه من رؤية الناس للملائكة، ووقوع الحساب فيه، ودخول الجنة والنار وما قبل ذلك من أحداث.

12- وبالقيامة مكونات وعناصر ليصمت من مكونات وعناصر ما تقوم عليه الساعة، فالجنة والنار والميزان والكتب، كلها ليست متيسرة بالدنيا التي تقوم عليها الساعة، بما يعني أن العناصر والمقومات مختلفة بكل منهما.

13- والساعة قد تكون عامة، وقد تكون خاصة، لكن القيامة عامة دائمة، وعلى ذلك فتعبير [من مات فقد قامت قيامته] ليس له

وجود بالقرءان ولا الفقه السوي، وحكم الشيخ المحدث الألباني
يرحمه الله - بوضعه على رسول الله.

14- وبالساعة العامة يتفرق الناس، حيث يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ
تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِّذُ يَنْفَرُونَ﴾ [الروم: 14].

أما يوم القيامة فهم يُجمعون، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ
لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ الْتَغَابِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمَلْ صَالِحًا يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ
وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ﴾ [التغابن: 9].

لذلك رأيت أن تتم دراسة كل ما ورد بكتاب الله عن الساعة
وعن يوم القيامة تفصيلاً، حتى يقف القارئ بتدبر واع لكتاب الله عن
أحداث كل منهما.

ثالثاً: بين الساعة والقيامة واليوم الآخر؛

أما الفرق بين يوم القيامة والساعة من جهة واليوم الآخر من جهة
أخرى، فالיום الآخر هو الذي يضم الساعة ويوم القيامة فيما يخص
الإيمان بهما، لذلك فقد قرن الله كلمة اليوم الآخر بالإيمان، كما قرن
الإيمان به سبحانه وتعالى مصحوباً بالإيمان باليوم الآخر، بينما لم يقرن
الإيمان به مصحوباً بالإيمان بالساعة وحدها ولا بالقيامة وحدها، إنما

اختص ذكر الساعة والقيامة بالقرءان على سرد أحداث كل منهما، أو التذكير والتهديد بهما.

ومبحثنا المائل يخص الأحداث، وعلى ذلك نخلص إلى أن ذكر الساعة أو يوم القيامة بالقرءان إنما يعني الأحداث التي تتم بكل منهما، فالساعة هي آخر أحداث الدنيا، والقيامة هي أول أحداث الآخرة، أما تعبير اليوم الآخر فيعني الإيمان بهما معا كأحد عناصر الإيمان، وبأن تلك الحياة ستتهي إلى حياة الجزاء الأبدي فذلك هو الإيمان باليوم الآخر الذي يضمهما، ولا يوجد من يؤمن بأحدهما ولا يؤمن بالآخر، لذلك فإن تعبير اليوم الآخر هو الذي ضمهما معا ليكون حقيقة الإيمان بهما دون النظر للأحداث التي تتم بكل منهما، بما يعني الإيمان بزوال الدنيا وبوجود حياة أخرى خالدة.

وأعلم أن هذا المنطق في التفكير قد يصعب على الكثير تفهمه أو هضمه، لكن لا بد أن نرتقي بإدراكنا ولا نستمر في سطحيات الفكر القديم ننقلها بلا إدراك.

وقد يرى البعض وهو يطالع كتاب الله وجود آيات تحمل صفة الساعة (أنها من الدنيا)، ثم يجد الآية التي تليها تحمل صفة القيامة، فيرتج عليه الأمر، لكن تيسيرا على الأفهام أن تدرك الأمر... فإن كل ما جاء بالآية السابقة أو بالكلمات السابقة على كلمة الساعة وبه

شيء عن الساعة وكونها من الدنيا فهو من الساعة، أما ما يأتي بعدها فقد يكون منها وقد يكون من القيامة لذلك وجب التدقيق، والمنهج العلمي هو منهج نظرية السياق، حيث يقوم على أن الكلمة تكون أسيرة للسياق الذي تدخل فيه (الوحدة اللغوية الأكبر).

والسياق نوعان سياق الكلام ويسمى السياق اللغوي، وسياق الموقف ويسمى سياق الحال، لذا وجب التنبه لذلك، كما أن الإنسان إذا ما أراد أن يعلم حكم القراءان في مسألة فلا تكفيه آية واحدة أو جزء من آية كما يحدث من البعض الآن، لكن لابد أن تقف على كل الآيات التي نوهت عن الموضوع الواحد ثم تخرج منها التدبر الواجب عليك، وسوف أُبيّن من خلال تفسير خاص أمر بعض الآيات التي ارتجت معانيها على الأقدمين بشأن الساعة والقيامة.

ولقد سردت بآخر الكتاب جميع الآيات التي وردت بالقراءان عن الساعة والقيامة ليسهل على القارئ التمييز.

رابعاً: الغرض من دراسة الفرق بينهما:

وفائدة دراسة الفرق بين اللفظين يعيد صياغة تفهمننا لمعاني ما ورد من آيات كتاب الله، وبالتالي تعديل كثير من أفكار السلف عما يدّعون من بعض التفسيرات المخالفة لمرامي الآيات، كما أنه من واجب البيان

أن نذكر بأن التسميات (ساعة - قيامة - يوم آخر) لا تعطينا قدر ما يعطينا وثوق المسلم ببديع البيان القراءاني وفهمه لآياته ودلالات الألفاظ به.

كما أن أمتنا وهي الأمة العربية منوط بها دعوة باقي الأمم لدين الإسلام، فلا بد علينا من فهم الألفاظ حتى نقوم بأعباء الدعوة بناء على فهم قويوم ولنعلم بأننا نخطب أمماً ذات عقول وثقافات أوسع من تلك العقول النقليّة التي نترنح بها في الحياة، لذلك علينا الالتزام بالدقة.

ولقد تكررت كلمة الساعة بالقراءان 39 مرة في خمس وثلاثين آية، وتكررت كلمة تقوم الساعة خمس مرات في خمس آيات، وتكررت كلمة ساعة غير معرفة بحرف التعريف (أل) 8 مرات في ثماني آيات.

وتكررت كلمة القيامة بالقراءان 70 مرة في سبعين آية، وذكرت القيامة والساعة مجتمعين في سورة واحدة 13 مرة في ثلاث عشرة سورة. ولقد ذكرت كلمة (واليوم الآخر) 22 مرة، في 22 آية تم إقرانها كلها بالإيمان بالله، وذكرت كلمة (اليوم الآخر) بدون حرف الواو مرة واحدة.

وكما نعلم بأنه لا ترادف [تشابه المعنى] فيما ورد بالقراءان من كلمات، فلكل كلمة مدلولها الخاص بها لتبيّن ما عناه الله بدقة متناهية، فحين يذكر الله كلمة الساعة فلا تعني أبداً يوم القيامة، ولا يعني لفظ يوم القيامة أنه الساعة، ودعكم من فقه الأمس الذي كان لا يفرق بينهما.

خامسا، أحداث الساعة:

كما نوهت سلفا فإن الساعة التي يذكرها القراءان هي ساعة دمار الكون، وبداية زواله، وتكون في آخر حقبة من أيام الدنيا، وهي من جنسه [أيام كأيامنا هذه]، وهي حين تقوم ستكون ولا يزال بالدنيا نبض حياة، بما يعني وجود أحياء بالدنيا حين قيامها، لذلك فهي تقوم عليهم وعلى كل مظاهر الحياة فتدمرها، وسماؤنا التي تظلنا يتم تدميرها، وتدمير نجومها وكواكبها ونظامها حين تقوم الساعة.

ويوم القيامة يوم بناء لعهد جديد فيه حساب بلا عمل، لذلك سمي يوم الجزاء، بينما الساعة هدم لعهد قديم كان فيه العمل بلا حساب واف، وبالقيامة يحشر الناس جميعا كلهم فيها، بينما الساعة العامة لا تقوم إلا على بعض الناس وعلى بعض الأحياء.

مباغتة الساعة للناس والفرق بين الساعة العامة والخاصة

وللساعة أشراف أي علامات، ويقال لها أمارات، حيث يقول تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذُكِّرْتُمْ﴾ [محمد: 18]؛ فدل ذلك على أن للساعة أشراف - وهي من رحمة الله - منها ما جاء، ومنها ما سيأتي، وتدل الآية أيضا على أن الساعة تقوم فجأة.

ولا يتلمظ متلمظ، فيتصور بأن الأشرار تخالف الفُجاءة، فذلك من غير المقبول في السوية الفكرية، فالأشرار تكون من رحمة الله، حيث ينبه الله بها الغافلين ليتوبوا والكافرين ليؤمنوا.

لكن حين قيامها فجأة فهي تقوم لتدمر، فالتدمير ليس بعلامة، لكنه حدث جلل ينتهي معه فرصة الإنسان في الإيمان والتوبة، وهي لا تستأذن أحداً لتقوم، لذلك وجب الحرص أن تأتيك أحداث النهاية وأنت لا زلت مقيماً على المعاصي.

كما أن الأشرار تقع في أجيال يُنسى بعضها ما حدث للجيل الذي سبقه، والنسيان من طباع بني آدم، لذلك فالساعة تكون بغتة، حيث يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: 44]؛ ويقول جل جلاله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الزخرف: 66].

فالنسيان وعدم الشعور هو ما يغلب علينا في أمر أشرار الساعة، سواء أكانت ساعة خاصة أو عامة وهو ما سيرد بيانه، أما البغطة فتكون في قيامها.

وكلمة بغطة تعني وجود شعور وإدراك بما يعني قيامها على أحياء،

لكن على غير ما يتوقع هؤلاء الأحياء، لذلك يقول تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 1].

وقد يكون من المفيد أن أذكر بأن الساعة حين تعني دمار الكون فهي تعني بذات الوقت دمار نفس كل كائن حي على حدة، وكل نفس لها أشرط لفنائها، فأنت حين تشيب فذلك من أشرط نهاية حياتك وهو ما أسميه الساعة الخاصة.

أمارات الساعة

لقد ذكر الله أشرط الساعة العامة (أمارات الساعة) في كتابه، ونهت عليها السُنن العملية والقولية لرسول الله، فبعثته ﷺ من أشرط الساعة التي جاءت دون أن ندري، أو لعل بعضنا أخذته الدراية، ثم نسينا وذريتنا تلك العلامة الفارقة، حيث يقول تعالى بسورة النازعات: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَانَتْ يَوْمَ يَرْوُفُهُمْ أَلَمُ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوِ صُحْحَهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: 42-46]؛ ويقول رسول الله فيما رواه البخاري في صحيحه بالحديث رقم [4995] قال رسول الله: [بعثت أنا والساعة كهذه من هذه أو كهاتين وقرن بين السبابة والوسطى]، بما يعني أن بعثته تدل على قرب انتهاء الدنيا ودنو ما يسمونه العلامات الكبرى التي لا ينفع معها توبة ولا إيمان.

ولعل الفقهاء قسموا أشراف الساعة إلى كبرى وصغرى، وهو ما اختلف معهم فيه، فالساعة لها أشراف وهي تلك التي اعتادوا أن يسموها بالصغرى، ثم بعد ذلك تقوم الساعة لتدمير هذا الكون وانتهاء كل أثر للحياة وهو ما يسمونه خطأ بالأشراف الكبرى، لأنها الواقعة فعلاً وحقيقة، وليست علامة، فتدمير الكون وانتهاء الحياة ليس بعلامة حتى نسميها علامات كبرى، إلا إذا اعتمدنا الخلط بين الساعة والقيامة ولم نفرق بينهما.

وترى نهجهم حين يذكرون تفاصيل الأشراف التي يسمونها صغرى للساعة، فكثير منها لا يُعبّر عن أشراف قدر ما يُعبّر عن خيال، فتجدهم مثلاً يقولون ما ورد بالبخاري ومسلم من علامة رفع العلم وظهور الجهل، فإنهم بذلك الحديث المذسوس على رسول الله يطمئنون الناس، فمجرد وجود العلم يعني عدم قيام الساعة بغتة، سواء أكان المقصود العلم الشرعي أو العلوم التجريبية، لهذا أرى الاعتماد على كتاب الله في هذا الشأن أفضل.

ودليل آخر على فساد أمر رفع العلم وانتشار الجهل قبل قيام الساعة كشرط مزيف يزعمونه من أشرافها، وهو الأمر المذكور بصححي البخاري ومسلم اللذين تصرأ أجهزة الفقه على عدم تنقيحها وتنقيتها، فإنك تقرأ كتاب الله يذكر عكس ما يذكره البخاري ومسلم، فيذكر من

أشراط الساعة كثرة العلم وسيطرة أهل الأرض على الأرض، وهو الأمر الذي نجد شواهده بادية هذه الأيام، فيقول تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٣) إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَىهَا أُنْزِلْنَا لِيلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْرَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ [يونس: 23-24].

فهاهم قادرون على الأرض، فهل قدروا على الأرض بالجهل؟!، وهاهي الأرض قد أخذت زخرفها وازينت، فهل حدث لها ذلك بالجهل ورفع العلم كما يدعون؟!، لذلك أهيب بالدعاة التمهّل حين يغترفون من البخاري ومسلم وكتب الصحاح، حتى لا يخالفوا كلام الله ويظنوا أنهم يقدمون للناس ديناً.

ونخلص بأن من أشراط الساعة كثرة العلم وسيطرة أهل الأرض على الأرض، وليس كثرة الجهل، ولا يقولن مجادل بأنه الجهل بالعلم الشرعي، فإن ذلك جدل عقيم لأن المدونات العلمية والفقهية تتكاثر وأصبح الفقه يملأ الهواء عن طريق شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، ولا يزال المتقون موجودين بالأرض إلى قيام

الساعة، لذلك فلن يرفع العلم الشرعي أبداً، وآية ذلك قوله تعالى عن أحداث الساعة: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: 67]؛ فحين تقوم الساعة (وهي من أيام الدنيا) تنشأ العداوة بين أهل الزوغ، وتكون الحميمة لأهل التقوى، بما يعني وجود الصالحين بالدنيا حتى قيام الساعة.

أذكر ذلك لأن الدعاة يحبون أن يصيحوا بأن الساعة ستقوم وليس على وجه الأرض من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، فهو صياح مخالف للآية السابقة، ويتصادم مع صريح معنى الآية.

وهم يقولون بأنها تقوم يوم الجمعة، وهذا يتنافى مع الفجاءة التي يجب أن تتم بها الأمور، لأن معناها أن تكون أيام الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء أمان من قيام الساعة، وهو الأمر المخالف لكتاب الله، بل وقال بعضهم بأنها تقوم في الفترة بين صلاة الفجر وشرق الشمس وأيدوا ذلك بمدسوسات على السنة النبوية المطهرة وقالوا عنها (حديث صحيح)، وكذبوا لأن علوم أهل الزيغ الذين دسوا تلك المرويات لم تكن لتدرك بأن بيننا وبين مواضع بالولايات المتحدة عشر ساعات في التوقيت الزمني وهو ما يؤكد فساد ما انتهوا إليه.

ومن بين أسرارها وعلاماتها قوله - تعالى - بسورة الأنبياء: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (١١)

وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَوَلَّوْنَ قَدَّ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلَّ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿[الأنبياء: 96-97]﴾
 فدلّت تلكم الآيتان على أن فتح يأجوج ومأجوج من بين الأشرار التي يسمونها صغرى، لقوله تعالى بعدها: ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾، فالوعد الحق هو فتح ردم يأجوج ومأجوج وخروج ذراريهم إلى كل الدنيا فسادا وقتلا وتخريبا كما جاء بالسنة النبوية المطهرة، إيذانا بزوال الدنيا ثم حساب يوم القيامة، وأظنه - والظن لا يُغني عن الحق شيئا - التفوق البادي لأهل الصين وكوريا الشمالية ومحاولات الأخيرة امتلاك القنبلة النووية، فوصف وجوههم ذكرها النبي في الأحاديث الصحيحة؛ فضلا أن أهل الصين أكثر الناس نسلا على وجه الأرض فالآية تذكر ﴿وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَذَبٍ يَنْسِلُونَ﴾؛ حتى إنك تجدهم منتشرين حاليا في كل بلدان الدنيا، فهم يطرقون علينا الأبواب حاليا بالقاهرة، ووجود أحياء كاملة لهم بأمريكا، وانتشار مطاعم الوجبات الصينية، كل ذلك يؤكد قرب حلول حقيقة الآية وصدق الرواية عن رسول الله، وقد يكونون من سكان الكواكب الأخرى.

وانتهاء ردم يأجوج ومأجوج لا يكون كما تُصوّره الروايات المزيفة عن رسول الله من أنه ثقب ويتسع، فلقد روى البخاري في صحيحه بكتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام بالحديث رقم [3403]

عن زينب بنت جحش أن النبي ﷺ دخل عليها فزعا يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق بإصبعه وبالي تليها فقالت زينب فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث، وهناك أحاديث أخرى بكتب الصحاح تذكر مثل هذا الهراء بينما يغشاها فساد السند والمتن، لكن قل في الوقوع في غرام الأقوال البشرية وترك كلمات الله ما تشاء.

لكن فتح ردم يأجوج ومأجوج لن يكون إلا بلدك البناء كله، وهو ما يُعبّر عنه الله في كلام ذي القرنين، حيث يقول تعالى بسورة الكهف:

﴿قَالُوا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ اِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْاَرْضِ فَهَلْ جَعَلْ لَكَ خَرَجًا عَلٰٓى اَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًا ۚ﴾ (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ اَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۚ﴾ (٩٥) ؤتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتّٰٓى اِذَا سَاوٰى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوْا حَتّٰٓى اِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ؤتُونِيْ اُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۚ﴾ (٩٦) فَمَا اسْطَعُوْا اَنْ يَّظْهَرُوْهُ وَمَا اسْتَطَعُوْا لَهُ، نَقَبًا ۚ﴾ (٩٧) قَالَ هٰذَا رَحْمَةٌ مِّنْ رَبِّيْ فَاِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّيْ جَعَلَهُ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّيْ حَقًّا ۚ﴾ (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوْجٌ فِيْ بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فُجِعَتْهُمْ جَمْعًا ۚ﴾ [هود: 94-99].

وذلك يعني أنه ما من أحد يستطيع نقب هذا البناء كما تزعم بذلك أساطير يسمونها حديثاً صحيحاً، لقوله تعالى: ﴿وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ، نَقَبًا﴾،

فالنقب هو ثقب ويتسع كما أشارت بذلك الروايات الفاسدة والمدسوسة على رسول الله، فهكذا يتبين لك فساد الاعتماد على الروايات التي لا يدعمها كتاب الله.

لكن حقيقة ذلك البناء أنه يُدك جميعه بفعل فاعل وبأمر الله، لذلك يجب أن تكون معتقداتنا غير متصادمة مع آيات كتاب ربنا، وإلا كنا مكذبين بها، بينما نصيح بأننا نؤمن بالقرءان، ولست أرى داعياً لتخريج سند مثل تلك الأحاديث حتى لا تتسع فضيحة التزييف على رسول الله للعامة.

ولا يعرف أحد مكان ذلك الردم، ولا كنهه، فقد يكون سور الصين العظيم، وقد يكون شيئاً آخر، وقد يكون لم يُبن بعد، والله أعلم، وقد يكون تم بناؤه وتم دكه، لكن يجدر القول بأن الآية تدل على إفساد يأجوج ومأجوج بالأرض أولاً، ولا ندري إن كانوا من البشر أم من سكان الكواكب الأخرى، ثم بناء السور بردم من القطران والنحاس المذاب ثانياً، ثم بعد ذلك دك السور كله دفعة واحدة بالمرحلة الثالثة، ثم بعدها يموج الناس تقتيلاً فيما بينهم.

ويقول - سبحانه وتعالى - بسورة الدخان عن إحدى أمارات الساعة: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ ① ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ ② ﴿يَغْشى النَّاسُ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ③ ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا

مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ لَهُمُ الذِّكْرَ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ [الدخان: 9-16].

فالله يقول لنا أن نرتقب دخاناً يأتي من السماء يخنق الناس، فيدعون ربهم فيكشف عنهم العذاب، ثم لا يلبثون أن يعودوا للكفر والفسق مرة أخرى.

وذهب كثير من العلماء سلفاً وخلفاً إلى أن الدخان هو من الآيات المنتظرة التي لم تأت بعد، وسيقع قرب يوم القيامة، وإلى هذا ذهب علي بن أبي طالب وابن عباس وأبو سعيد الخدري - رضي الله عنهم - وغيرهم، وكثير من التابعين.

وقد رجح الحافظ بن كثير - رحمه الله - هذا، مستدلاً بالأحاديث، ويذكر القرطبي في كتابه (التذكرة) ص 655 قال مجاهد: كان ابن مسعود يقول: «هما دخانان قد مضى أحدهما، والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض ولا يجد المؤمن إلا كالزكمة، وأما الكافر فتثقب مسامعه» وقال النووي رحمه الله تعالى: ويحتمل أنها دخانان للجمع بين هذه الآثار.

ومن الجدير بالبيان أن كل ما سبق ذكره من أحداث الساعة والذي سيستغرق زمناً يُعَدُّ بالأحقاب، منه ما هو علامات من رحمة الله بك، يمكنك فيها التوبة ويمكن للكافر الإيمان، ومما يهمني ذكره

أن من أشراط الساعة آية بعثة النبي محمد - ﷺ - للناس، كذلك خروج
 يأجوج ومأجوج، فالآيتان مجرد اقتراب؛ وهما إنذار أخير يمكن للناس
 من حينها أن تثوب إلى رشدتها وتتوب، وجدير بالبيان أن بعثة سيدنا
 عيسى من العلامات الصغرى للساعة أيضاً، ولك أن تتدبر قول ربنا
 تبارك وتعالى عن سيدنا عيسى في قوله عنه: ﴿وَأَنَّهُ لَعَلَّمُ لِّلسَّاعَةِ فَلَا
 تَمُوتُ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: 61].

ومن أمارات الساعة واقعة انشقاق القمر، وفي ذلك يقول - تعالى -
 بسورة القمر: ﴿أَفَرَأَيْتِ السَّاعَةَ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۖ (١) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا
 وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۖ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ
 مُّسْتَقَرٌّ ۖ﴾ [القمر: 1-3]؛ وواقعة انشقاق القمر حدثت على عهد
 رسول الله، وذكرها البخاري ومسلم وغيرهما، ومع ذلك فقد كذب
 المشركون ما رأوه بنواظرهم، وهو ما يؤكد ما انتهينا إليه من نسيان
 الناس أو كفرهم بآيات كتاب الله.

وقائع قيام الساعة

أما وقائع قيام الساعة وهي ما يطلقون عليه بالخطأ تعبير
 (العلامات الكبرى للساعة) فهي مما ورد بالقرآن المجيد حيث يقول
 تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ

كَانُوا بِحَايَتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿﴾ [النمل: 82]؛ فخرج الدابة التي تكلم الناس على غير المعهود، أمر من وقائع الساعة، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾، ولن تخرج تلك الدابة من رحم أمها لكن تخرج من رحم الأرض، وخروجها يكون فجأة، فتلكم هي البغته.

ومن وقائعها قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: 1]؛ وتكور الشمس بداية لانكدارها كنجم متألئى الآن بالسماء، فلا تزال شمنا غير مستديرة حتى الآن، وذلك لاستمرار خروج حممها البركانية المستمر من كل جهة منها ولمئات الكيلومترات بما يمنع استدارتها لأية لحظة حتى الآن، لكن إن هدأت تلك الحمم فستبرز استدارة الشمس وذلك من العلامات، ووقتها ستكون الأرض صقيعاً، وما تراه الآن بعينك مستديراً في السماء ليس بقرص الشمس إنما حزمة من ضوئها وقد سافرت ملايين الأميال.

ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [التكوير: 2]؛ أي أنها ستنتطفئ، يعقب ذلك عصر بارد مظلم على الكرة الأرضية ولا يعلم إلا الله الزمن الذي يستغرقه ذلك العصر.

وهناك واقعة جمع الشمس والقمر، يقول تعالى: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: 9]؛ فجمعهما يعني اندثار النظام الكوني، واختفاء الشمس والقمر.

ويقول جل جلاله: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ اُنْتَرَتْ﴾ [الانفطار: 2]؛ أي ستخرج الكواكب من منظومتها الدورانية حول نفسها وحول شمسها لاختلال أنظمة الجاذبية، فتكثر ارتطاماتها ببعضها البعض، لتناثر النيازك العملاقة، وبالتالي تدمير الكواكب بفعل تلك الارتطامات الجبارة.

ويقول تعالى بسورة المعارج: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِ ۖ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: 8-10]؛ فهل يتصور أحد أن تذوب السماء فتكون كماء النار؟، وأن تكون الجبال كالقطن الذي تم تنجيده؟.

أما عن الأحداث على سطح الأرض فيقول جل في علاه: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: 6]؛ وهو ما يعني خروج الحمم البركانية من باطن البحر إلى السطح؛ ويكون أيضا بفصل ذرات وجزيئات الماء إلى أيديروجين مشتعل وأوكسجين يساعد على الاشتعال، فيشتعل ثلثا الكرة الأرضية لأن ثلثيها ماء بحار وأنهار.

ويقول - تعالى - عن مصير الجبال بسورة طه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: 105-107]؛ ونسف الجبال يعني أن تמיד الأرض وتكثر الزلازل كما كانت قبل خلق الله للجبال حين وضعها الله في أماكنها

كأوتاد للأرض، وهو ما يُعبرُّ الله - عز وجل - عنه في آية أخرى بقوله:
﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: 5]؛ وما ذلك
إلا لأن الله وعد بأنه كما بدأ أول خلق فهو يعيده كما بدأه.

ويقول - جل في علاه - بسورة الحج: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ
إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ
عَمَّا أََرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا
هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: 1-2]؛ فالساعة تقوم
على أحياء، ومن هو لها تسقط الحوامل الأجنة من الذعر؛ وتنسى الأم
وليدها الرضيع، وزلزلة الساعة عذاب عظيم لمن شاهدها لذلك ترى
الناس وكأنهم سكارى من التلوي من العذاب، والحسرة،

وإني أستشهد الله عليك أيها القارئ: هل سمعت يوماً من يقول
بأن من أحداث الساعة أن يتوقف التناسل والتكاثر البشري فتضع
كل ذات حمل حملها ويموت الأجنة لعدم إرضاع أمهاتهم لهم؟!، إنك
لم تسمع ولم تقرأ ذلك لأن القدماء اعتبروا ذلك من القيامة بينما هو من
أحداث قيام الساعة وليس من أحداث يوم القيامة.

ومن عجيب أمر أهل الفقه القديم الذين لم يكونوا يفرقوا بين
الساعة والقيامة أنهم يرون ذهول المرضعة عما أرضعت يكون يوم
القيامة وذلك من قصور الفقه، إذ الأمر بالساعة حين تنزل الأرض،

لكن ليس بالقيامة زلزلة، فضلاً عن أن كل ذات حمل ستضع حملها، أي يسقط الحمل ولا يكتمل، والقيامة لا حمل فيها بطن إحداهن يسقط.

ومن عظيم البيان القرءاني في وصف زلزلة الساعة، حيث سترجف الأرض، فيقول ربنا بسورة النازعات: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۖ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ۖ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۙ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ۖ يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرَدُّدُونَ فِي الْحَافِرِ ۖ﴾ [النازعات: 6-10] ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: 14]؛ وهذا يعني أن زلزلة الأرض تنشأ من خوفها ورجفتها التي تستتبع ذلك الخوف، فتخرج أنقالها من جوفها، فتكثر البراكين والزلازل معاً، مما سيحطم الأرض وما عليها تحطيمًا.

وجدير بالبيان أن أنوّه عن عدم ذكر أهمية وقائع قيام الساعة لمن سيموت قبلها، أو لمن آمن ولم يكن لإيمانه يقين وثمره، لأنك إن مت الآن فلن يفيدك العلم بأحداث وأشراط الساعة العامة، فيوم موتك هو انتهاء فرصتك الوحيدة للنجاة بالآخرة، لذلك وضعت لك سبب دراستك لعلم الساعة وأشراطها تحت عنوان مستقل [ماذا يفيد المسلم معرفة علم الساعة وأشراطها] وهو ما سيأتي بهذه الدراسة في حينه.

وقد يكون من المفيد ذكر بعض الأحداث البشرية المواقبة للأحداث

الطبيعية، فلقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ (٥٥) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٥٦) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿[الروم: 55-57]؛ فذلك جانب من ندم من تقوم عليهم الساعة بغتة وهم في غِيْهِمْ لاهون عن الحقيقة الإلهية والرسائل السماوية لأهل الأرض، إذ أنه عند قيام الساعة فعلا لا ينفع أحدا الإيمان إن حاول أن يثوب إلى رشده.

ومن عجيب أمر من لا يفرقون بين قيام الساعة ويوم القيامة أنهم يُفسِّرون تلك الآية على أنها مقولة الموتى حين يخرجون من قبورهم فيقسمون أنهم ما لبثوا غير ساعة في القبر، وهو تأويل فاسد، إنما يعبر الأمر عن ندم الأحياء الذين تقوم عليهم الساعة، حيث لا ينفع إيمان، فيوقنون بهلاكهم، ويتمنون أن يطول بهم الزمن الذي لم يشعروا بانقضائه إلا أنه قدر ساعة.

ولقد بين الإمام الزمخشري في تفسيره لتلك الآية أن الساعة تكون في آخر أيام الدنيا وإن خلط بينها وبين القيامة، فقال: [{الساعة} القيامة، سميت بذلك لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا، أو لأنها تقع بغتة وبديهة. كما تقول: «في ساعة» لمن تستعجله، وجرت

علماً لها كالنجم للشريا، والكوكب للزهرة. وأرادوا: لبثهم في الدنيا، أو في القبور، أو فيما بين فناء الدنيا إلى البعث] انتهى .

[لاحظ خلطه بين الساعة والقيامة، وبين قول الناس إن كان لبثهم بالدنيا أو بالقبور، ومن يقرأ تفسير ابن كثير وغيره عن تلك الآية يجد مثل ذلك الخلط].

وهناك صورة أخرى ينقلها لنا القرءان الكريم، حيث يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الروم: 12]؛ أي يسكت المجرمون بعد أن ملئوا الدنيا ضجيجا وصياحا بترهات أقوالهم.

فحين يقول الله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْصَرُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُونُ﴾ [الأنعام: 31]؛ إنما يعني أن من بغتته الساعة لن يستطيع التوبة، فلقد التصق به عمله السيئ أو كفره إلى يوم القيامة، كذلك من تحضره الوفاة فيحضر احتضار الموت فلن تنفعه توبة حال الاحتضار، ولا تدل هذه الآية على يوم القيامة إنما تدل على قيام الساعة (الساعة العامة أو الخاصة) على أحياء يحملون من الأوزار ما يحملون ولا يستطيعون التوبة ولا الإيمان.

وقيام أحد وقائع الساعة الواردة بكتاب الله مما يسمونه بالعلامات الكبرى لا ينفع حينها إيمان، حيث يقول تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ

تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيكَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْظُرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴿[الأنعام: 158]؛ لذلك فإن الإيمان حينها لا ينفع، وتلك العلامات والآيات تحدث فجأة، لذلك فإني أجد أن بعثة رسول الله للناس جميعا هو من بين الإنذارات الأخيرة من السماء لأهل الأرض.

ومن بين أحداث قيام الساعة انقطاع التوالد والتناسل البشري، وتوقف نمو الأطفال الرضع، وفي ذلك يقول تعالى بسورة الحج: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿[الحج: 1-2]﴾ يعني بذلك البيان بأن كل عاقل بالغ قامت عليه الحجة هو الذي سيبقى من البشرية ليشاهد وقائع قيام الساعة.

إن مجرد قيام الساعة يتبين بعدها فورا للغافلين سوء مصيرهم، لذلك تكثر خلافاتهم ومشاحناتهم، بسبب فتنة بعضهم لبعض حال فرصة الحياة، وفي ذلك يقول ربنا تبارك وتعالى بسورة الزخرف: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿[الزخرف: 66-67]﴾ فتنشأ عداوات لم تكن موجودة بين من كانوا بالأمس أصدقاء أخلاء.

ويكون المتقون أشد فرحا بقيام الساعة رغم سوء الأحوال الجوية والأرضية حينها وقرب حساب رب الأرباب، وقد يكون من المفيد أن أذكر أن ذات تلك الطمأنينة تصيب أيضا كل مسلم حسن إسلامه ومات قبل أي وقائع لقيام الساعة، لأن الله يُطمئن ويُبشِّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات، فالله - تعالى - يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28]؛ وساعة يحين أجلهم يقول الله - تعالى - لهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْغُوبَةً (٢٨) فَاذْخُلِي فِي عِندِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: 27-30]؛ أذكر ذلك حتى أرد على أولئك الذين يقولون بأننا حين نموت لا ندري أكنّا في حياتنا من أهل الصلاح أم الغفلة، وهل إلى جنة أو نار، فذلك مخالف للطمأنينة في الدنيا وطمأنينة خروج النفس من الجسد التي وهبها الله للذاكرين.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أذكر بأن طمأنينة الذاكرين لا تتنافى مع خشيتهم لله، لأن خشيتهم لا تعني الخوف من المصير، بينما هم أكدون من عملهم الصالح، لكنها تعني الاستحياء من الله، فالخشية التي يقول الله فيها: ﴿... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: 28]؛ إنما هي ما نسميه ببلدنا مصر (يخشى)، ولا تعني يخاف، لأن ذكره لله يطمئنه على مصير لقائه مع ربه، ومع ذلك فخوف المؤمنين أن يقعوا في المعصية أو يصيبهم سوء الحساب إن خالفوا منهاج الله،

فهم لا يخافون خوف التشكك فيما يقومون به من عمل، ولا يخافون من عدل الله، إنما يخافون من الوقوع في الزلات والمعاصي.

ومن الجدير بالبيان أن يوم الحسرة ليس هو يوم القيامة، فبالقيامة ندم وبالساعة حسرة، وتكون الحسرة يوم قيام الساعة وما يصاحبها من أحداث دمار الكون، وهو الوقت الذي لا ينفع فيه إيمان، لذلك فإن الله يُنذر الأحياء أن تدركهم تلك الآية في ذلك اليوم فيندمون ويتحرون، يوم لا ينفع الندم، ولا فائدة من الحسرة إلا الألم.

فحسرة المصير تكون عند قيام الساعة بالدنيا، أما يوم القيامة فهو يوم الندم والويل لأهل الكفر، لأنه يوم الجزاء، ومن البيان أن تكون الأموال التي أنفقها أهل الكفر تنقلب عليهم حسرة بالدنيا، لفوات مقصدها يوم تلتف الساق بالساق، أو حين يغلبون بالدنيا، وفي ذلك يقول - تعالى - عنهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾ [الأنفال: 36].

والفرق بين الحسرة والندم، أن الحسرة تكون لما فاتك من قريب ولم تتمكن من إدراكه فأنت تشاهده وتعاينه وهو يفوتك ويتفقت منك، أما الندم يكون على ما فاتك وأنت لا تراه ولا تعاينه ولا يمكنك محاولة اللحاق به.

وتأمل قوله تعالى: ﴿وَأَنذَرُهم يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهم فِي غَفْلَةٍ وَهم لَا يُوْمِنُونَ﴾ [مريم: 39]؛ فيوم الحسرة وهم في غفلة لا يؤمنون لا يعني أبدا يوم يقوم الموتى لرب العالمين، إنما يعني قيام الساعة على الأحياء حقا وحقية، فهم الذين تلحقهم الحسرة لما كانوا فيه من غفلة، لكن الأموات لا يكونون في غفلة، وإن كانوا في غفوة، والحسرة للأحياء تكون لعدم تمكنهم من الإيمان ولا التوبة، لأن التوبة أغلقت أبوابها، فلا يقبل الله إيمان أحد بعد أحداث وقائع قيام الساعة التي أورها بكتابه العظيم القرآن.

ويقول تعالى عن الظواهر الكونية التي تصاحب قيام الساعة وما يصاحبها من حسرة الكافرين بالله، والفاستقين الذين أسلموا ولم تنهم معرفتهم بوجود خالق يحاسب الناس يوم القيامة عن ارتكاب كل الجرائم: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۖ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۖ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۖ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ [القيامة: 7-10]

فقول الإنسان ﴿أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ إنما يُعبّر عن اليأس والإحباط الذي يصيب تلك الفئات من عذاب قيام الساعة عليهم وهم أحياء.

ومما يؤكد ما انتهينا إليه من أن الساعة تعني تهادم الكون على من فيه، وأن القيامة تكون على الأموات ليقوموا من موتهم، ما ذكره الله في كتابه العزيز حيث قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ

لِّلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَعَالِينَ ﴿١٠٤﴾
[الأنبياء: 104]؛ فكما بدأ الكون سينتهي، فالسما والأرض كانتا دخاناً
قبل أن يخلقهما الله بالهيئة التي نراها حالياً، لذلك فإنها سيبتدان عند
حدوث الساعة بالوجه الذي ذكرناه سلفاً.

ماذا يفيد المسلم معرفة أحداث الساعة وأشراطها؟

كما علمنا فإن الساعة هي فناء ذلك الكون وموت كل كائن
حي، فهي تدمير للحياة وانتهائها، لكن الأحداث العملية للساعة
والسابق ذكرها قد لا يراها أحد من الذين يعيشون بأيامنا هذه، فما
فائدة دراستها؟.

لا شك بأن الله جعل لكل كائن حي علامات لدنو ساعته، فكما
للكون علامات لانتهائه فإن لك علامات لانتهاء حياتك، فبغثة
رسول الله هي إيدان بانتهاء الحياة جميعاً، لذلك فلا بد أن تعتبر لذلك؛
فهي الفرصة الأخيرة للبشرية أن تثوب إلى رشدّها.

ولا بد أن تعلم وتعمل على أنها علامة لدنو ساعتك أنت لتموت
في أي وقت، لأن الساعة تأتي بغثة، والمثيب في رأسك من العلامات
الصغرى لقرب أجلك، والمرض وقلّة حيلتك وانهدام قوتك التي
كانت لك كلها إنذارات صغرى لقرب دخول جسدك وعودته للطين

الذي نشأ منه، وعودتك أنت إلى الله القائل: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281]؛ فيمكنك الأوبة والاستغفار.

أما إذا بلغت الروح الحلقوم فتلکم من أحداث قيام ساعتك لانتهاه أجلك وانتهاه حياتك، ولا ينفع حينها توبة، وتدبر قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْإِيمَانَ وَلَا الَّذِينَ يُمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: 18]؛ فدراستك لعلامات الساعة وأحداث قيامها تؤكد في ذاتك العبرة لمن كان له يقين وإيمان، فهل انتبهت؟.

وساعتك الخاصة هي التي قال الله فيها لكل من يقرأ القرآن: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرٌ﴾ [القمر: 46]. وهي بذاتها تعني الساعة العامة لمن ستقوم عليهم الساعة العامة.

وإثباتا لما تقدم من أمر الساعة العامة والساعة الخاصة، ما ورد بكتاب الله عن إهلاك عاد وثمود وقوم فرعون، فقد كانت الحاقة الخاصة بهم وهي ساعتهم التي أخذهم الله فيها فأماتهم، وفي ذلك يقول ربنا تبارك وتعالى بسورة الحاقة: ﴿الْحَاقَّةُ ۝ (١) مَا الْحَاقَّةُ ۝ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُمْ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَىٰ ۝ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝ (٥) وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَلَيْهِ ۝ (٦) سَحَرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ ۝ (٧) فَفُتِحَتْ بَابُ الثَّامِنَةِ ۝ (٨)﴾

وَمُتَّيْنَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَحْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾
فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾
فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾
لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَنَعْيَا أَذُنًا وَإِعِيبَةً ﴿١٢﴾ [الحاقة: 1-12] فهكذا تجد الإهلاك
الخاص وقد ورد بمعنى الساعة الخاصة وبلفظ (الحاقة).

فالموضوع إذاً ليس علماً لأناس ليحفظوه، بل هو علم لأناس
ليتدبروه، ويقفوا على دلالاته بالنسبة لهم، فقد كان رسول الله - ﷺ -
يتعوذ من علم لا ينفع وقلب لا يخشع، وما الإيمان المطلوب باليوم
الآخر إلا لتؤمن بالانتهاء الحتمي لهذه الحياة والمحاسبة الحتمية والمصير
الأكيد بالآخرة لكل من كان من البشر والجن على ظهر هذه الأرض
ووهبه الله ومنحه فرصة الحياة لينظر ماذا فعل إبان تلك الفترة، لذلك
يقول تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْعَفُورُ﴾ [الملك: 2].

ومن الإثباتات العلمية التي يبيها الله في الكون ليثبت كتابه العظيم
القرآن الكريم وهو يقول: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ﴾ [القيامة: 19]؛ فإليك
علم أحد علماء مصر وهو الدكتور/ أحمد عوض عبد الهادي أستاذ
بقسم الجيولوجيا بكلية العلوم جامعة المنيا حيث يقرر: [فلقد تبين
أن المجرات تتباعد عن بعضها البعض حالياً بمعدل 38 ألف ميل /

ساعة لكل مليون سنة ضوئية (300000 ألف كيلومتر في الثانية) فيما يسمى بثابت هبل، وحتماً سيأتي وقت تنتهي هذه الحركة وتسكن ومن ثم تقع الأجرام علي بعضها، فيبدأ الكون بالانكماش ومن ثم يجمع الكون كله في نواة صغيرة جداً بالنسبة لحجمها الحالي (the big crunch theory) هذه النواة هي نفسها التي نشأ منها الكون قبل ما يزيد علي 12 مليار سنة]، ويقول [وطلوع الشمس من مغربها بات يقيناً، فهذا مشابه لما حدث في المريخ منذ قريب، وتحديدًا في يوم الأربعاء 30 يوليو 2005 حيث توقفت حركة المريخ عن السير في الاتجاه الشرقي، وبعد ذلك في شهري أغسطس وسبتمبر تحول المريخ بالانطلاق بشكل عكسي نحو الغرب وذلك إلى نهاية شهر سبتمبر حيث توقف لفترة بسيطة، ثم عكس دورانه في اتجاه عقارب الساعة (من الشرق إلى الغرب، بمعنى أن الشمس تطلع عليه من المغرب)، رأينا أن هذا الأمر حدث للمريخ اليوم علي الرغم من أن الأحاديث النبوية ذكرت تلك الظاهرة قبل 1400 سنة . وما حدث للمريخ كأنه مقدمة لما سيحدث علي كوكبنا.].

وإنه تمهيد لحدث توقف الأرض عن الدوران تمهيد لطلوع الشمس من مغربها، فإن دوران الأرض يتباطأ، حيث قال ذات العالم بمدونته: [إنّ دوران الأرض يتباطأ لكن بنسبة أبطأ بكثير من ثانية

واحدة كُل عدد من السَّنَوَاتِ أي تقريباً فقط جزء من الألف من الثانية. فقد تَفَاوَتَ الطول المتوسط لليوم الشمسي بين عامي 1999 - 2005 بين 0.3 و 1 ميلي ثانية أي أن يوم الأرض الشمسي أطول قليلاً الآن منه أثناء القرن التاسع عشر.

إن ذلك يعني أنه سيكون اليوم الذي تشرق فيه الشمس من مكان مغربها.

موقف الكافرين من الساعة والقيامة

قد يكون من البيان أن نبرز موقف الكافرين من الساعة وموقفهم من القيامة، ونبدأ أولاً بموقفهم من الساعة، حيث يقول تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [النازعات: 42]؛ فهم يسألون سؤال المستكر لأنهم يظنون الدنيا أبدية، وأن الساعة لن تقوم، لذلك يحكي الله عن قائلهم بسورة الكهف: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ، وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ، قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: 35-36].

فهم لا يتصورون الفناء ولا يتصورون انتهاء الدنيا، وحتى على فرضية انتهائها فهم سيجدون عند الله الأفضل من نعيمهم الذي اعتادوا عليه.

ومنهم من كان يكذب بالبعث يوم القيامة فيقول تعالى عنهم:
﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُعْجِ الْعِظَمُ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس:
78]؛ فهم غير مقتنعين بالبعث، والبعث من أعمال القيامة، وهو من
أعمال الإنشاء، وليس من أعمال الهدم والانتفاء كما يحدث عند قيام
الساعة، ويكفيك أن تدرك إحدى العجائب بأن آخر آية ذكرها الله
في ترتيب السور بالقرءان عن الساعة كانت عن تساؤل الكافرين عن
الساعة، حيث يقول تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [النازعات:
42]؛ وآخر آية بالمصحف عن القيامة كانت عن تساؤل الكافرين عن
القيامة، حيث يقول تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ﴾ [القيامة: 6].

نفخة الساعة

وللساعة نفخة وللقيامة نفخة، حيث يقول تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي
الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ
أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِيَّامٍ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: 68]؛ هذا يعني أنه برغم كل
أحداث الساعة السابق بيانها، فإن بعضا من الحياة سيكون على ظهر
الأرض وغيرها من الكواكب، لكن حين تتم النفخة الأولى فهي تُنهي
كل مظهر من بواقي مظاهر الحياة، بعداذ تلك الصيحة ذات النفخة،
لكن هناك من سيموتون دون سماع تلك الصيحة وكأننا أصابهم

صمم، وهو من رحمة الله عليهم؛ وهناك من يقولون بأن المستثنى من الصعق هم الملائكة.

قال ابن حجر بعد أن حكى مقالة ابن حزم: هما نفختان فقط، ووقع التغاير في كل واحد منهما باعتبار من يستمعهما، فالأولى يموت فيها كل من كان حياً، ويُغشى على من لم يموت ممن استثنى الله. والثانية: يعيش بها من مات، ويفيق بها من غشي عليه، والله أعلم. انتهى.

وقالوا عن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ بأنهم الملائكة، وقيل جبريل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل، وقالوا بأنهم حملة العرش وهم ثمانية ملائكة، وعموما لا يهمننا الخوض في ذلك.

وموضوع إزالة ما بقي من الحياة بالنفخة الأولى إنما هو هدم لفلول الحياة.

وبمجرد النفخة الأولى ينتهي نسب كل بشري، حيث يقول تعالى بسورة المؤمنون: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: 101] ولا يكون هناك إلا الأخوة في الله، فهي القرابة الوحيدة القائمة التي يسعد أهلها في الدنيا والآخرة.

ويوم ينفخ في الصور نفخة الساعة، يتم ذلك الأرض وما بقي من بقايا الجبال فتختفي تحت وطأة الدكة، وتنشق السماء الجديدة لينزل

منها الملائكة، وفي ذلك الموقف المهيب يقول تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۖ﴾ (١٤) ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ﴾ [الحاقة: 13-15] فيكون ذلك في النفخة الأولى، بينما بالنفخة الثانية يكون البعث والملائكة وبروز العرش: ﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۖ﴾ (١٦) ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ۖ﴾ (١٧) ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۖ﴾ [الحاقة: 16-18]

وبين النفخة الأولى (نفخة الساعة) وبين النفخة الثانية (نفخة القيامة) وقت، والمؤكد أن بينهما مساحة زمنية، وذلك لورود كلمة (ثم) بين النفختين، ﴿.. ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ ينتظرون﴾؛ وهناك روايات تذكر بأن بين نفخة الساعة وصيحة القيامة أربعين، لكن لم يجزم أحد إن كان أربعين يوماً، أو سنة، أو أربعين ألف سنة، لكن لا يمكن الجزم والقطع بشيء عن مقدار الزمن بين النفختين.